الفصل السادس والخمسون

تفرّغْ لمشروعٍ محدّد

كنْ أنت التغيّر الذي تتمنّاه لهذا العالم.

غاندي

تكمن إحدى إمكانات اكتشاف نقاط قوتك وإطلاقها في تركيز ذهنك على مشروعٍ يثير حماسك. خطّطْ لمشروعٍ من أجل حياتك المهنية، أو من أجل حياتك الشخصية، أو حتى من أجل بلدتك أو جماعتك. لماذا لا يُفترَض بنا إغناء حياتنا بمثل هكذا مشروع؟ في المهنة، على سبيل المثال، يمكنك أن تؤلّف فريقاً خاصاً تعهد إليه بالمهام التي تكره تنفيذها. قمْ أخيراً بالالتحاق بدورة الرقص أو دورة الحاسوب أو دورة اللغة الفرنسية التي طالما أردتَ الاشتراك بها، أو قمْ بتطوير نظامٍ يتيح لك أتمتة ما أمكن من الأعمال الرتيبة. أيّاً كان اختيارك، تأكّدْ من أن المشروع يروق لك (وأن رئيسك موافق عليه).

كما يمكنك بالطبع أن تطوّر مشروعاً مفصّلاً على مقاس حياتك الخاصة. هل تريد المشاركة في سباق ماراتون؟ إذاً تدرّبْ يومياً. هل ترغب في بطنٍ منبسط؟ إذاً عليك بالتمرين. باشر في تأليف الكتاب الذي طالما أردتَ كتابته. أو صمّمْ مشروعاً من أجل بلدتك أو جماعتك على سبيل المثال، كما يمكنك أن تتولّى مهمّةً تهيّئ لك المتعة. إحدى زبوناتي، على سبيل المثال، كانت تهوى أعمال البستنة، وحصلت من رئيسها على الإذن بوضع حوض أزهار أمام مبنى المكتب المجدب. واليوم يسرّها الذهاب إلى العمل، ذلك أن باستطاعتها أن تمتّع ناظريها يومياً بثمار عملها.

أما مشروعي الشخصي فكان اسمه "شارع نظيف". كنتُ أعيش في مدينة نيويورك، وأمتعض في سرّي يومياً من قذارة الشوارع. صحيح أنني كنت أسكن في إحدى الضواحي "الراقية" الأكثر عنايةً، ولكن القمامة كانت تتناثر فيها بشكل فاضح. كما كانت كثرة المشرّدين تضايقني وتتعب أعصابي. لم أكن

أرغب في إعطائهم مالاً، لقناعتي الراسخة بأنهم سوف ينفقونه على العقاقير أو الكحول. مع ذلك كان ضميري يؤنّبني لأجلهم. إلى أن راودتني الفكرة: لماذا لا أطلب إليهم الاهتمام بنظافة وترتيب الشارع؟ هكذا سألتُ أحد المشرّدين إن كان يريد أن يعمل؟ فأجاب بالموافقة. إذا قمتَ بتنظيف الشارع أمام منزلي يومياً، فسوف أطلب من جميع القاطنين إعطاءك دولاراً واحداً في الأسبوع (وإذا شارك الجميع في ذلك، سيصل المبلغ إلى 150 يورو أسبوعياً). بيد أنني لم يكن في مقدوري أن أضمن له مساهمة جميع القاطنين في هذا المشروع. ولكن من ناحية أخرى لم يكن لديه شيء ليخسره على كل حال. وفي الساعة السابعة من صباح اليوم التالي باشر مهمّته الجديدة، ووُلِدَ مشروع "شارع نظيف". وتحوّل جيمس ومكنسته إلى جزءٍ ثابت من صورة الشارع، وقامت أخيراً *النيويورك تايمز* بنشر مقالة عن المشروع، واستُضيفَ جيمس في برامج تلفزيونية مختلفة، وصار مثالاً يُحتذى. وكان جيمس يكسب من تنظيف الشارع من المال ما مكّنه من مشاطرة أحد معارفه شقةً سكنية. ومن يدري، ربما تصبح نيويورك ذات يوم مدينةً نظيفة!

ما هو المشروع الذي تريد إحداثه؟ إن لم تكن من النمط الذي ينظّم مثل هذه الأمور، يمكنك بطبيعة الحال أن تنضمّ إلى مشروعٍ قائم سلفاً أو إلى تنظيمٍ موافق. مهما بدت لك مساهمتك تافهة، باستطاعتك، أنت أيضاً، إحداث شيءٍ ما. حسبك أن تفكّر في "القرد المئة". في كتابه *القرد المئة* يروي كين كيز الأصغر عن سلوك القردة في جزيرة كوشيما. كانت القردة في الجزيرة تقتات على البطاطا الحلوة بالدرجة الأولى. وذات يوم قام أحد القردة بغسل البطاطا الحلوة قبل أن يأكلها. فما لبثت القردة الأخرى في الجزيرة أن حذت حذوه، وتبنّت هذا النموذج السلوكي شيئاً فشيئاً. وعندئذ حدث أمر غريب: عبرت عادة غسل البطاطا المحيط، وبدأت القردة في جزيرةٍ أخرى بغسل البطاطا كذلك. ولم يُعثَر على تفسيرٍ منطقي لهذه الظاهرة، التي دعاها العلماء بـ "ظاهرة القرد المئة". هذه هي حال المعارف العلمية الجديدة أيضاً. فكثيراً ما يتم التوصّل إلى معارف علمية جديدة في الوقت ذاته من قبل علماء مختلفين في أنحاء مختلفة من العالم. تُثبت الدراسات العلمية الحديثة أن معدّل الجريمة ينخفض في المناطق التي يكثر فيها من يمارسون التأمّل. وأنا على قناعة بأن الأمر يتعلّق هنا بالظاهرة نفسها. إذا فلتبدأ.

عندما تعمل على مشروعٍ يحثك ويُلهِمك، تُتاح لك إمكانية معرفة ما تودّ القيام به في حياتك فعلاً، وربما تنفتح أمامك آفاق مهنية جديدة كلياً. فمن يشتغل بأمورٍ يحبّها، يجتذب أشخاصاً وفرصاً بصورة تلقائية.